هذه تتكرر هنا بعد آيات ثمان في حجة متصلة متواصلة، لأنها تجد بعدها ظرفاً راجحاً لتكرارها:

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾:

فمشهد نزع شهيد من كلّ أمة هو رسولها الذي يشهد بما جاء به وأجابته فصدقته أو كذبته، ذلك المشهد يتقاضى الشركاء الشهداء المزيفين، ليكون الشهيد إن بمعرض العرصات بين ضفتي الإيمان والكفر، فيقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴿فَقُلْنَا﴾ للضفة الكافرة ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ وهم خواء خلاء عن كلّ برهان ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ علم اليقين بعد ما تجاهلوا ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ كله ﴿لِلَّهِ﴾ دون مَن سواه ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من شركائهم، فالشهداء الحق يشهدون عليهم كما يشهدون لمن سواهم أو عليهم، ثم لا شهداءَ لهم من شركائهم، إلّا شركاء في جحيم النار وبئس القرار ولات حين فرار.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ
أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً
وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى
زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ
قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ
ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾
فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ
يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن
مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ
ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ
ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى

ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

الآيات السبع الأولى عرض عريض عن سيرة أثرى الأثرياء في تاريخ الإنسان ومسيرته ومصيرته، وهي تُصَوِّر الدركات السبع الجهنمية له ولأضرابه من الطغاة البغاة.

ولا تهمنا في ذلك العرض معرفة من هو قارون؟ إلّا أنه ﴿كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ ولا يستفاد منه إلّا أنه كان من بني إسرائيل دون القبط الفرعونيين، تأشيراً عشيراً إلى أن القومية لا تفيد الإنسان ما لم يتخلق بأخلاق القائد الروحي للقوم، فقد يتخلف عنها - على إيمانه المدعى - لحد يصبح أنحس وأتعس من قوم فرعون، وقد كان قارون هكذا، إذ جاء ذكره الفصل كأصل بين الطغاة بعد فرعون وقومه والألدّاء الأشداء من المشركين على مدار الزمن حتى مشركي قريش، وقد نصحه قومه بإيحاء من الشرعة التوراتية بخمس هي سلبيات ثلاثة وإيجابيتان:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾:

إن قلة الإيمان وضآلته، بكثرة الكنوز وقد فرح بها ومرح، هي السبب لبغيه ما بَغى، في حين أن فرعون وقومه يبغون عليهم، وما أنحسه بغياً عليهم وهو من قوم موسى؟

وقد وُدِعت ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ كمجهل يُعلِم أنه يحلِّق على كلّ دركات البغي، عِرضاً ونفساً ومالاً وعقلاً وعقيدةَ الإيمان، وهي النواميس الخمسة التي يجب الحفاظ عليها، ولكنه بغى عليهم ككل وفي كلّ هذه، ولو كان بغياً دون الجميع لأتى بما يدل عليه، فالإطلاق يلمح إلى طليق البغي، وهكذا يصنع المال بوفره في قلب مقلوب عن الهدى، مليء من الردى، فيبغي صاحبه بمالِه ومالَه على كلّ المستضعفين كما يهواه ويستطيع، و﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

والكنوز هي الجواهر الثمينة ذهباً وفضةً أماهيه، المخبوءَة تحت الأرض، الفاضية عن الاستعمال وتداول الأيدي، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ﴾ دليل أنه ظفر بها بإشارة إلهية دون علم من عنده، ويكفي بياناً لعظم هذه الكنوز وكثرتها ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ وهنا بطبيعة الحال تحل المروي عن الرسول ﷺ محلها من الواقع أن «كانت أرض دار قارون من فضة وأساسها من ذهب»[2].

وما هي «مفاتحه»؟ أهي «مفاتيحه» جمع مفتاح: ما يفتح به القفل؟ ولا مفاتيح للكنوز ككنوز إلّا إذا استخرجت إلى غير مخابئها الكانزة، وإذاً لا تسمى كنوزاً! وحتى إذا سميت بها، أم بقيت في مخابئها وأقفلت، فلا تصل مفاتيحها لحدّ ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾! وأقل العصبة - علّها - عشرة أم تزيد كما في إخوة يوسف ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾[3] وإذا كانت العصبة أولي قوة، فكل واحد منها يحمل لأقل تقدير مائة كيلو غراماً، فحِمل الكلِّ لأقل تقدير ألف كيلو غرامٍ! وذلك - علّه - أثقل من كلّ مفاتيح الكنوز في الأرض

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.
(٢) الدر المنثور ٥: ١٣٦ - أخرج ابن مردويه عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: . . .
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨.

كلها! فيا ويلاه إن كانت العصبة أو أولو القوة عشرة آلاف كما في رواية[١].

ثم التبعثر في الكنوز خلاف الحيطة للحفاظ عليها فلتُجمع في مكانات عدة شاسعة واسعة، تكفيها لأكثر تقدير كيلو غرام من المفاتيح! ثم «مفاتح» هي جمع مفتح دون المفتاح!

أم إنها الكنوز نفسها؟ وليست هي مفاتح، ولا أنها مفاتيح لنفسها! ولا أن حِملَ العصبة العشرة أولي القوة، ثروة منقطعة النظير!.

إنها «مفاتِحه» جمع مَفتح، وهو مكان فتح الكنز وهو بابه، والضمير المفرد الغائب راجع إلى «ما» فقد كانت أبوابها كبيرة وثقيلة لحد ﴿لَتَنُوأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والنوء هو النهوض بالحمل على ثقل للحامل، والعصبة من يتعصّب بعضهم لبعض متضامنين في قواتهم كرجل واحد، ولو كانت هي المفاتيح لكانت المفاتيح دون المفاتح، ولكانت تُناء بالعصبة لا «تنوء» فهي - إذاً - أبوابها العريضة الثقيلة التي تنهض بالعصبة أولي القوة، كما وأن باب خيبر كانت لتنوء بالعصبة ونهض الإمام علي عليه السلام بفتحها شخصياً دون حاجةٍ إلى سواه!... ولقد كان مرِحاً فرحاً بما أوتي من الكنوز جامحاً شرِها في بغيته بما أوتيه، فوُجِد من قومه من يحاول رده من بغيه باستئصال سببه وهو فرحه بكنوزه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ بما لك فيلهيك عما يعينك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ بأموالهم وعلى أية حال، إلّا فرحاً بالفوز عند الله، ولحدٍّ يشجع صاحبه إلى ما يرضاه الله، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ...﴾[٢] ومَن سواهم يفرحون بالحياة الدنيا بغير الحق: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[٣] - ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ

(١) نور الثقلين ٤: ١٣٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: وما يكون أولو قوة إلّا عشرة آلاف.
(٢) سورة الروم، الآيتان: ٤، ٥.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[١] - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[٢].

فـ ﴿لَا يُحِبُّ﴾ يختص بهؤلاء الفرحين دون أولئك المؤمنين، ولأن الله يحب فريقاً ويبغض آخرين، فـ ﴿لَا يُحِبُّ﴾ عبارة أخرى عن «يبغض»، وكما «لا يبغض» هي الأخرى عن «يحب»، وذلك لأن الله عالم الغيب والشهادة وبيده ناصية كلّ شيء، لا انعزالية له عن أيٍّ من المخلوقين، فلا ثالث عنده ألّا يحب ولا يبغض، فإنه إما لجهل بمادة الحب والبغض، أم جهل بمن يحملهما! فَفَرَحُ الزّهُوِّ الذي هو من مخلّفات الاعتزار بالمال، والاحتفال بالثراء وحسن الحال، إنه بطرٌ يُلهي عما يُعنى، ويُنسي النعمة والمنعِم وما يتوجب على المُنعمَ.

كما أن فرح الشكر بما أنعم الله، مستخدَماً في سبيل مرضاة الله، تفريحاً للمؤمنين بالله وتفريجاً عن عباد الله، إن ذلك فرح الإيمان كما نراه من أهل الله، هنا وفي يوم لقاء الله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣] فـ «لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كلّ حال فإن كثرة المال تُنسي الذنوب وترك ذكري ينسي القلوب»[٤]، وذلك نهي صارم عن فرح عارمٍ،

(١) سورة غافر، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.
(٤) نور الثقلين ٤: ١٣٨ في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام: لا تفرح.. وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: والفرح مكروه عند الله عزوجل، وفيه عن كتاب التوحيد بإسناده إلى أبان الأحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه جاء إليه رجل فقال له: بأبي. وأمي عظني موعظةً فقال عليه السلام: إن كانت العقوبة من الله عزوجل حقاً فالفرح لماذا؟
وفي الدر المنثور ٥: ١٣٧ عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإنه معالج جسد خاو وموعظة بليغة وصلِّ على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة.

ومن ثم أمرٌ ثم نهي ثم أمر ثم نهي، فإنهما القائمان بالإصلاح في المفسدين.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾:

الابتغاء هو التطلُّب، فهم يأمرونه أن يتطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسواها من النعم آفاقية وأنفسية ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ لا فحسب هذه الأدنى، إخلاداً إليها، ومشية المكبِّ عليها، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ﴾ الحياة ﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فلا نصيب لك أخيراً فيها إلّا الكفن، إذ لا تسحب معك غيره فتصحبه في الأخرى، ولا في الأخرى إلّا متاعها أن تشري ذلك الأركس الأدنى بالحياة العليا، ولا لك قبلهما إلّا قدر الحل من الحاجة المعيشية والزائد عليها وبال هنا وفي الأخرى، فلتغتنم الفرصة السليمة لك فيها قبل فوات الأوان، فما لك نصيب من الدنيا فيها وفي الأخرى إلّا هذه الأربع، من ينساها أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان امره فرطاً، و﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ لا «فيها» مما يدل على أن النصيب منها يعني صالح الدارين، فالحياة الدنيا لكلٍّ على قصرها هي بكل جنباتها نصيب المتاع للأخرى، فليُتزوَّد منها لها، من نسي النصيب المتاع أقبل إليها مبصراً إليها فيعمى، ومن تمتع بها للأخرى مبصراً بها أبصرته.

فالذاكر نصيب الحاجة من الدنيا يوسع على خلق الله فيما زاد عنها[1]

(١) نور الثقلين ٤: ١٣٩ في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى يوم القيامة برجل فيقال: احتج، فيقول: يا رب خلقتني وهديتني وأوسعت عليّ فلم أزل أوسع على خلقك وأيسّر عليهم لكي تنشر عليّ هذا اليوم رحمتك وتيسره فيقول الرب جل ثناؤه وتعالى: صدق عبدي أدخلوه الجنة.

والذاكر نصيب رأس المال فيها مالاً وحالاً يتجر بها للأخرى[١] والذاكر نصيب الكفن منها لا يطمئن ويركن إليها، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَأَحْسِن﴾ في نفسك أعمالك لله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ إحساناً بإحسان وأين إحسان من إحسان.

فـ ﴿أَحْسَنَ﴾ حالاً ومالاً وأعمالاً، كما وكل ذلك مما ﴿أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وذلك تمثيل المجاراة، وإلّا فما إحسان العبد بجنب إحسان الله بشيءٍ يُذكر!

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] بما أحسن الله إليك، جزاءَ الإحسان بالإساءة، ولا تبدل نعمة الله كفراً تُحِلُّ بها نفسك وذويك دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وهو يبغضهم، فالمال والثراء ذريعة ضارعة هارعة إلى كلّ إفساد في الأرض عِرضاً وعقلاً وعقيدة ونفساً ومالاً، لا سيما إذا كان بأيدي مردة الشياطين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

ولأن هذه النصائح كانت مستأصِلة لزهوة الثراء، والالتهاء بالنعماء، فهو بزعمه يستأصل أن تكون كنوزه مما آتاه الله، قائلاً في جوابهم قولته النكدة الجاهلة:

---

(١) المصدر عن معاني الأخبار بإسناده إلى موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية قال: لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة.

(٢) المصدر في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام فساد الظاهر من فساد الباطن ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية، وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر كما أخبر الله تعالى في قصة قارون: ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده، وأصلها من حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهواها وإقامة شهواتها وحب المحمدة وموافقة الشيطان واتباع خطواته وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منه.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

ذلك الجواب - في زعمه - يستأصل كلّ تأنيب في هذه التساؤلات المتبنّية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ بـ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فلم يؤته الله إياي - لو آتاه - دون علم وجدارة، وقد تلمح ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ دون «آتاه الله...» أنه أوتي إياه على علم منه دون مشية من الله، فالأوّل إشراك بالله في ذلك الإيتاء، والثاني إلحاد فيه بتوحيد العلم في ذلك الإيتاء! أن ليس لله أي مدخل فيه حتى إذا لم يكن على علم عندي، صُدفةً فيه أم تقصداً ممن سوى الله. وهذان مزعمتان للأكثرية الساحقة ممن أوتوا مالاً أو منالاً، موحدين أو مشركين أو ملحدين، مهما استثني الأوّلون عن الإلحاد في الإيتاء: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1].

وتلك القولة الفاتكة من قارون هي قولة المغرور المطموس الناسي مصدر النعمة وصادرها حيث تعميه الثراء، قالة خاوية مكرورة على مرّ الزمن للأكثرية المطلقة ممن أوتيها مهما اختلفت دركاتها فيما تعنيه.

وتراه ماذا عني بقالته القالة: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ مع العلم أنه يحصر إيتاءَه به مهما كان الإيتاء من الله أم سواه؟

أهو علم التوراة؟ وقد أوتي موسى وسائر المرسلين اكثر منه يوحي

(١) سورة الزمر، الآيات: ٤٩-٥٢.

صارم لا دخيل فيه، ولم يؤتوا كنوزاً كما أوتي! وكان ذلك يكفيه نقضاً لما ادعاه، دون النقض بإهلاك قرون قبله!.

أم علم جمع المال؟ ولا يختص به علمه! فكثير هؤلاء الذين يعلمون ما يعلمه وأكثر ولا يؤتون معشار ما أوتي! ثم وما هو - إذاً - دور ﴿عِندِيٓ﴾ وكان يكفيه «بعلمي»!

إم إنه علم محالِّ الكنوز؟ وقد تؤيده ﴿عِندِيٓ﴾ اللامحة إلى اختصاصه به، كما وأن «على» الإحاطية هنا، تجعله يحيط علماً بمحالِّ الكنوز! والكنوز مع العلم بمحالها هما من الله!.

أم إن ﴿عِندِيٓ﴾ تعني رأيه الخاص، فـ «عندي إنما أوتيته على علم» مني يحيط بموارد الكنوز أما ذا من علمٍ مدعىً؟ وإيتاء الكنوز على أية حال ليس إلّا من الله امتحاناً أم امتهاناً!

وعلى أية حال يدعي أن ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ هو فقط السبب لذلك الإيتاء، فقد أوتيتهُ بجدارة واستحقاق، سواء أكان المؤتي هو الله أم سواه فلي التصرف فيه كما أريد، فلا حق لله ولا لمن سواه فيما يختص بي.

وهنا الجواب كلمة واحدة مشيرة إلى سواها ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ معطوفاً على محذوف معروف كـ:

ألم يعلم أن كثيراً ممن كان على علمه وأعلى لم يُؤتَ ما أوتي ولا معاشره، فليس إذاً ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ وإن لم يعلم ذلك لحمقه في عمقه ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ كفرعون ونمرود وشداد بإرمه ذات العماد، فإن كانت هذه الكنوز أوتيت على علم، فلماذا الإفساد بها في الأرض وذلك جهل، وليس لمن يحصل على نعمة بسعي وعلم أن يبدلها نَعمة ويفسد بها، وإذا أوتيه على علم، فيعلم هو طرق الحصول على كنوز، فكيف لم يعلم أن ليس كلّ ذي علم يؤتى ما أوتيه، ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ...﴾ وعلم تحصيل